المراسلات والمعاهدات والاتفاقيات
بين مملكة غرناطة الإسلامية ومملكتي أرغون وقشتالة النصرانيتين
٦٩٥ – ٨٩٧هـ / ١٢٩٦ – ١٤٩٢م

أ.م. د. أحلام حسن النقيب
كلية التربية / جامعة الموصل – قسم التاريخ

" ملخص البحث "

شهدت الساحة السياسية الأندلسية في نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي تطورات واضحة في سياسة بعض الممالك الإسبانية من جهة ومملكة غرناطة من جهة ثانية أدت إلى قيام علاقات بينهما إتسمت بطابع الصداقة في أغلب أوقاتها بعد أن كانت حالة الحرب هي السائدة .

وهدف بحثنا هو تتبع العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة العربية الإسلامية وجارتيها مملكتي أرغون وقشتالة النصرانيتين للفترة من ٦٩٥-٨٩٧هـ / ١٢٩٦-١٤٩٢م من خلال رسائل صدرت عن بلاط غرناطة إلى بلاط أرغون وقشتالة في شأن العلاقات بينهما فضلاً عن الإتفاقيات والمعاهدات التي أُبرمت بين هذه الأطراف .

ويحاول البحث أيضاً كشف الأسباب التي تقف وراء إستمرار تلك العلاقات أو إنقطاعها من خلال التعرف على الظروف التي تحكم المنطقة بشكل عام وأثر ذلك على هذه الممالك بالإعتماد على ما جاء في المصادر التأريخية المعاصرة للحدث أو القريبة منه .

هذه العلاقات إتسمت بطابع السلم وحرص أطرافها على إستمراريتها بما يخدم مصالحها السياسية على الرغم مما كان يشوبها من فتور ناجم أحياناً عن إضطرابات داخلية أو مشكلات خارجية قد ينجر لها أحدهم فتنعكس سلباً على الآخر .

المقدمة :

قامت علاقات سياسية بين مملكة غرناطة العربية الإسلامية ومملكتي أرغون وقشتالة النصرانيتين لأكثر من قرنين من الزمان ، وقد وقفنا على طبيعة هذه العلاقات من خلال الرسائل التي تبودلت بين هذه الممالك فضلاً عما أشارت إليه المصادر التأريخية ، هذه العلاقات لم تقتصر في ضوء المراسلات على ملوك هذه الممالك وسلاطين غرناطة فحسب وإنما شملت بعض وزراء غرناطة وقادتها ، وأكدت في موضوعاتها على تعميق روح الصداقة والمودة مع بعضها البعض .

وقد حرصت هذه الأطراف على عقد إتفاقيات ومعاهدات صلح جديدة وتجديد معاهدات أخرى كانت قد أبرمت وأُقرت من قبل بين غرناطة وأرغون وقشتالة وحسبما أظهرته الإتفاقيات .

وقد إستعانت مملكة غرناطة في مراسلاتها على شخصيات وزارية قوية وصفت بالدقة والمهارة في العمل وإتسمت بسمات فكرية مقرونة بكفاءة إدارية عالية ، وفقاً لمستجدات الأحداث وإستجابةً لمتطلبات الظرف وصولاً لتحقيق أهدافها وسيادتها ، وفي مضمون البحث سنتعرف على أبرز شخصيات غرناطة الوزارية ممن كان لها الدور الكبير والمؤثر في مراسلات غرناطة مع مملكتي أرغون وقشتالة .

الرسائل المتبادلة بين هذه الأطراف أكدت على العلاقات الوطيدة الطيبة المقرونة بالمودة والصداقة فضلاً عن إستخدام ألقاب التفخيم للملك جيمس الثاني ملك أرغون (٦٩٠-٧٢٧هـ / ١٢٩١-١٣٢٧م)[١] ، وهو سياق تقتضيه بطبيعة الحال العلاقات الدبلوماسية بين هذه الأطراف والتي تحرص على ديمومة مصالحها مع الطرف الآخر .

وفي ضوء هذه المراسلات شهد عهد السلطان محمد بن محمد بن يوسف الشهير بالفقيه[٢] (٦٧١-٧٠١هـ / ١٢٧٢-١٣٠١م) أول رسالة حملت في مضمونها نص المعاهدة التي أبرمت مع مملكة أرغون على عهد ملكها جيمس الثاني في ١١ رجب سنة ٦٩٥هـ / ١٥ أيار ١٢٩٦م[٣] فإعتبرت هذه الرسالة بداية مرحلة جديدة في العلاقات وإقرار الصلح الذي تقرر سريانه في المملكتين بحسب ما أظهرته الإتفاقية .

وهنا لابد من سؤال يطرح نفسه وهو لماذا حرص الطرفان في ذلك الوقت بالذات على عقد صلح بينهما ثم ما هو أثر ذلك على علاقة الممالك المجاورة من جهة وغرناطة وأرغون من جهة ثانية ؟ .

وقبل أن نجيب عن ذلك لابد لنا من الإشارة إلى أن ما تحفظه المصادر التأريخية القريبة إلى عهد السلطان محمد الفقيه نؤكد بأنه كان " ممهد الدولة ... أقام رسوم الملك فيها .. مستظهراً على ذلك بسعة الذرع وأصالة السياسة ورصانة العقل .. وطول الحنكة .. وتملوءه التجربة "[٤] .

وهذا يعني أن المدة الطويلة التي أمضاها قبل عقد الإتفاقية والتي بلغت عشرين سنة كانت كافية لتعطيه رؤية شاملة وتهديه إلى سياسة صائبة تعزز من دولته ومصالحها خاصة أحس بفداحة الخسارة التي لحقت بغرناطة يوم إرتضى أن ينحاز إلى ملك قشتالة سانشو الرابع ٦٩٥-٧١٢هـ / ١٢٩٥-١٣١٢م ويتفق على وضع خطة للسيطرة على جزيرة طريف

Tarifa كإجراء لإبعاد المرينيين عن شؤون غرناطة(٥) . فتعهد إبن الأحمر في وقتها لملك قشتالة بالإنفاق على جيشه مدة الحصار لقاء أن يسلمها إليه بعد سقوطها ، وبعد أربعة أشهر من الحصار المفروض عليها والذي إشترك فيه الملك جيمس الثاني بموجب الإتفاق القائم مع قشتالة آنذاك ضد المرينيين سقطت في شوال سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م وكانت المصيبة أعظم عندما رفض ملك قشتالة التنازل عنها رغم إستلامه ستة حصون من إبن الأحمر لقاء تعاونه(٦) . فذهبت طريف المعبر الستراتيجي الذي يتم منه جواز المغاربة ، والقاعدة التي تشكل عيناً على من يفقدها من الإثنين المغاربة والغرناطيين(٧) .

وكرد فعل لما جرى عبر السلطان محمد الفقيه إلى المغرب ليعتذر للمرينيين عما حدث وليعيد المياه إلى مجاريها وتحقق له ما أراد(٨) . لكنه من جهة ثانية واصل جهاده في جبهة قشتالة محققاً إنتصاراً عسكرياً مهماً حين تمكن من فتح مدينة قيجاطة* والحصون التابعة لها وذلك في محرم سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م(٩) ، كما نازل مدينة القبذاق من أعمال قرطبة فدخلها في شوال سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م(١٠) .

أما فيما يتعلق بالأسباب التي دفعت مملكة أرغون إلى توثيق صلاتها مع غرناطة هي أنها أدركت على عهد ملكها جيمس الثاني أن صلاتها مع العالم الإسلامي بوجه عام يكفل لها رفاهاً إقتصادياً ويعينها على حاجاتها ، وهو منهج إعتمده الملك منذ السنة الثانية من حكمه ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م(١١) . يضاف إلى ذلك أن مملكة أرغون كانت تجد في نفسها المنافس القوي لقشتالة فسَعت إلى تقوية نفسها بالتدخل في شؤون قشتالة خاصةً بعد وفاة ملكها سانشو الرابع لتزيد من أوضاع قشتالة سوءاً من جهة(١٢) ، ولتعزز تواصلها مع غرناطة من جهة ثانية فبادرت إلى عقد إتفاقية جديدة وقعت في أواخر ربيع الثاني سنة ٧٠١هـ / كانون الأول ١٣٠١م أي قبل وفاة السلطان الغرناطي محمد الفقيه ببضعة أشهر(١٣) ، حيث نصَّت هذه الإتفاقية على ما يأتي :

- أن يكون أصحاب غرناطة أصحاب لأرغون وأعداءهم من أهل قشتالة أعداءاً لأرغون .
- أن يدفع الضرر والفساد بين البلدين ولا سبيل لأحد في ذلك لا في البر ولا في البحر .
- يتعهد سلطان غرناطة بمعاونة أرغون ضد ملك قشتالة إذا ما شنَّ الأخير غاراته على منطقة مرسية* .
- أن لا يعقد أي طرف صلحاً أو هدنة مع قشتالة إلا بموافقة حليفه .

– يتعهد سلطان غرناطة بإعانة ملك أرغون بفرسان من عنده في أرض مرسية شريطة أن يضمن لهم المأكل والعلف من يوم خروجهم ويتم تعويض الفرسان بالمال في حالة موت دوابهم .

– أن لا يعترض سلطان غرناطة على كل موضع تحصل عليه أرغون من قشتالة شرط أن لا يكون تابعاً لغرناطة وتتكفل أرغون بمساعدة غرناطة في إسترجاع أراضيها التي إحتلتها قشتالة إن كانت تحت حكم ألفونسو حاكم قشتالة أو أخيه الدوق فراندة .

من بنود المعاهدة أيضاً السماح لتجار أرغون بالدخول إلى أراضي مملكة غرناطة ، والبيع والشراء فيها بحرية ، وأن تكون المملكة مسؤولة عن أمنهم وأمن أموالهم ، وأن يدفعوا ما يترتب عليهم من ضرائب ويكون لتجار غرناطة الحقوق نفسها في مملكة أرغون(١٤) .

فالظروف الداخلية التي عاشتها غرناطة بعد وفاة السلطان محمد الفقيه تعكس حالة الإضطراب الداخلي التي عاشتها تاركةً الإهتمام بالشؤون الخارجية إن لم نقل أن الممالك الإسبانية لم تعد تنظر إليها نظرة القوي الذي يحسب له حساب ، المهم أنه ما أن نصّب السلطان محمد الثالث* الشهير بالمخلوع ٧٠١–٧٠٨هـ / ١٣٠٢–١٣٠٩م الذي بدأ عهده بمحاربة مملكة قشتالة التي عقدت معه هدنة أمدها ثلاث سنوات(١٥) حتى بدأت الأحوال تتدهور شيئاً فشيئاً بسبب الأوضاع الداخلية التي إتسم بها حكمه كالفتن التي إنتهت الأمور في واحدة منها إلى خلعه ونُقل على أثرها إلى مدينة المنكب Almunecar فنصّب أخوه بدلاً عنه(١٦) وتوقع الناس أن أحوال البلاد ستتحسن والفتنة ستهدأ غير أن الواقع أثبت عكس ذلك فما أن تولى السلطان نصر بن محمد المعروف بأبي الجيوش ٧٠٨–٧١٣هـ / ١٣٠٩–١٣١٤م السلطة حتى عصفت بالبلاد أوضاع جديدة هي أكثر سوءاً من التي قبلها فكانت أيامه كما وصفها إبن الخطيب " كما شاء الله أيام نحس مستمر "(١٧) بسبب فساد تدبيره وسوء سيرته حتى وصل به الحال إلى الخضوع لملك قشتالة فرناندو الرابع (٧١٢–٧٥١هـ / ١٣١٢–١٣٥٠م) وتعهده له بدفع الجزية ،(١٨) الأمر الذي أثار غضب الناس عليه فقامت الثورة ضده بقيادة إبن عمه صاحب مالقة* الرئيس أبو سعيد فرج إبن إسماعيل الذي تحرك نحو غرناطة وهزم قوات السلطان النصري الذي تنازل عن الحكم ليتولى أمر غرناطة بدلاً عنه السلطان إسماعيل إبن فرج الشهير بالأول ٧١٣–٧٢٥هـ / ١٣١٤–١٣٢٥م الذي إشتهر بالعدل والعفة(١٩) .

أما على صعيد الأوضاع الخارجية فقد حدث العدوان القشتالي الأرغوني الجديد على غرناطة[٢٠] بعد أن تقرر في سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٩م حيث عقد تحالف بين فرديناند الرابع Frdenand IV ملك قشتالة وجيمس الثاني ملك أرغون برعاية البابوية للقيام بحملة صليبية على غرناطة وشرع الملكان في تنفيذ إتفاقهما عملياً وتقرر إحتلال الجزيرة الخضراء ALgeciras وجبل طارق Gibraltar فضلاً عن الشروع في إحتلال المرية ALmeria من قبل أرغون التي تناسى ملكها العهود والمواثيق التي أبرمها مع سلاطين غرناطة قبل ذلك وبدأت القوات في محاصرة المرية وجبل طارق ، ولكن القوات الغرناطية إستطاعت إلحاق الهزيمة بقوات الملك جيمس الثاني المحاصرة للمرية بينما شددت القوات القشتالية الضغط على الجبل براً وبحراً فسقط في أواخر سنة ٧٠٩هـ / ١٣١٠م[٢١] . وزيادة في تدهور أوضاع غرناطة الخارجية ما قامت به من تحريض لشيخ الغزاة القائد عثمان بن أبي العلاء* ودفعه للسيطرة على سبتة بل ودعمه في معارك مباشرة خاضها ضد أبناء عمومته حكام المغرب في شمال العدوة المغربية تلك الرواية التي إبتدأت منذ سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م ولم تنته إلا عندما تمكن المرينيون من إلحاق الهزيمة بعثمان بن أبي العلاء وتحرير سبتة في ١٠ صفر ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م[٢٢] .

ومهما يكن من أمر فإن عهد السلطان إسماعيل الأول شهد جهداً كثيفاً ونشاطاً واضحاً في العلاقات السياسية مع مملكة أرغون فقد سجلت أول رسالة بعثها إلى ملكها جيمس الثاني في ٢٣ من صفر سنة ٧١٤هـ / ٢٩ أيار ١٣١٤م وهي جواب على رسالة وصلت إليه وعكست الود الذي يكنّه الطرفان لبعضهما فضلاً عن المشاعر المطمئنة التي قدمها سلطان غرناطة لملك أرغون بشأن رعاياه حيث قال (... وذكرتم أن كل من عندكم بجميع بلادكم من ناسنا وأهل بلادنا محمول على الأمن والحفظ على النفس والمال وجميع الأحوال ... فقابلناه بمثله ...)[٢٣] ، وقد سجلت الرسالة المؤرخة في ١٧ ذي القعدة[٢٤] سنة ٧١٤هـ / ٢٤ آذار ١٣١٥م تطوراً مهماً في العلاقات بين البلدين فقد جاءت في مضمونها إستجابة السلطان إسماعيل الأول لرغبة الملك جيمس الثاني في تجديد الصلح معه ، (... إذا أردتم صحبتنا وتجديد العهود التي كانت بينكم وبين جدنا ... فنحن نريد من ذلك ما تريدون ، ونوافقكم على ما يكون فيه الخير والصلاح للطرفين فلا تمنعوا رسولكم من الوصول إلينا فلا موجب لمنعه ...) .

كما أشارت الرسالة إلى قرار غرناطة بإيقاف العمليات العسكرية من جهتها في جبهة أرغون (... لما ظهر لنا من مقاصدكم الحسنة ولما تضمنته كتبكم من الأغراض المشكورة

أن منعنا جيشنا الذي بحضرتنا أن يقف على شيئ من أرضكم أو يتعرض لبلد من بلادكم فما وقف لكم علمنا على موضع مع كثرة المرغبين لنا في ذلك والطالبين له ...)[٢٥] .

وقد كشفت الرسالة المؤرخة في ١٢ شوال ٧١٦هـ / ٢٨ كانون الأول ١٣١٦م المرسلة من السلطان إسماعيل الأول عن طبيعة المباحثات الدائرة بين البلدين بشأن الصلح المقرر إبرامه مع أرغون ، كما كشفت عن وجود مساع أخرى كانت حثيثة بشأن الصلح نفسه ، كما أكدت أيضاً على طبيعة العلاقات القائمة بين المملكتين وأوضحت بأنه لا وجود لصلح بينهما منذ عهد السلطان محمد الفقيه ثاني سلاطين غرناطة[٢٦] .

وهنا لابد أن نوضح أمراً مهماً يتعلق بالممالك الإسبانية التي عانت في تلك المدة من غموض في أوضاعها يرجع إلى المناورات والمطامع الشخصية والصراعات التي نجمت بينها فحال ذلك من قيام علاقات مع غرناطة بينما سعت الأخيرة إلى الإهتمام بشؤونها الداخلية وعدم إستغلال فرصة الفتن الناشبة في تلك الممالك[٢٧] . وهذا الأسلوب في جوهره كان على النقيض مما تفعله تلك الممالك التي ما أن تلحظ إضطراباً أو تناحراً داخل غرناطة حتى تشن حملاتها إمعاناً في إيذائها وإستحواذاً على أراضي جديدة .

وبحلول سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م عقد السلطان إسماعيل الأول معاهدة مع الملك جيمس الثاني مدة خمسة أعوام من تأريخ الرسالة المؤرخ في ١٧ ربيع الثاني سنة ٧٢١هـ / ١٦ أيار ١٣٢١م التي حملها سفير أرغون سيمون دي طوبية Simon de Tobiya بصحبة سفير غرناطة الحسن علي حسن الغراف مؤكدةً في نصوصها على ما يلي :

- أن يعقد بين الطرفين (صلح ثابت محفوظ العهد مؤكد العقد) مدة خمسة أعوام .
- تؤمن به أراضي المملكتين أماناً تاماً براً وبحراً سراً وجهراً .
- أن يعادي كل طرف عدو الطرف الآخر ولا يقبله ولا يعينه كائناً من يكون .
- أن لا يمنع ملك أرغون من يريد الخروج من أرضه من المدجنين (المسلمون الذين بقوا تحت الحكم النصراني بعد سقوط العديد من القواعد الأندلسية) إلى أرض المسلمين بأهلهم وأموالهم آمنين (موفوعاً عنهم الإعتراض من غير شيئ يلزمهم إلا المغرم المعتاد)[٢٨] .

وتضمنت نقاطاً لتنظيم التجارة بين الطرفين من ضمنها عدم التعرض للسفن والسماح لتجار كل بلد بالدخول إلى أراضي البلد الآخر والمتاجرة بجميع البضائع بإستثناء الخيل والسلاح[٢٩] .

وقد كانت الرسالة التي بعثها إسماعيل الأول في ٣ محرم سنة ٧٢٣هـ / ١٢ كانون الثاني ١٣٢٣م بصدد موضوع أسر جفن من مدينة بلنسية يدعى صاحبه برنقير قلفاط فسرح

ثمانية أشخاص منهم وأبقى ثلاثة هم : إبن البقيق الحجام من غرناطة ، وأحمد الأعرج من وادي أشن ، وأحمد البحري من المنكب وذكرت حادثة الإعتداء التي وقعت على الغليوط* galeota الخارج من المرية متجهاً إلى لقنت فهاجمته قرقورة* أُسرت شخصاً منه ثم هاجمه شيطي* بالقبطة وأسر إمرأتين وصبيتين وصبياً بيعوا بعدها في جزيرة اليابسة(٣٠) .

وقد تناولت الرسالة المؤرخة في ١٧ جمادى الثاني سنة ٧٢٣هـ / ٢٣ حزيران ١٣٢٣م من قبل السلطان إسماعيل الأول إلى الملك جيمس الثاني الصلح الذي عقد مع أهالي لورقه ومرسية في ضوء المعاهدة التي أبرمت مع ملك أرغون ومع ذلك فقد أظهروا غدرهم وفسادهم بسبب عدوانهم على موفدي ملك غرناطة إلى أرغون وقتلهم ونهب أموالهم وفيها يطالب السلطان إسماعيل بإتخاذ الإجراءات بحقهم(٣١) .

وفي سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م صدرت خمس رسائل من بلاط السلطان إسماعيل الأول إلى أرغون كانت مضامينها تتعلق بتجاوزات وقعت مخالفةً للصلح المبرم بينهما مطالبةً بمعالجة تلك التجاوزات(٣٢) ، وكانت رسالة ٢٩ من ذي الحجة سنة ٧٢٤هـ / ١٧ كانون الأول ١٣٢٤م إلى الملك جيمس الثاني تحتوي على ذكر عدد من الأحداث منها إطلاق سراح الصبي الذي أُخذ في الإيركة* التي أقلعت من إشبيلية .

وقد تضمنت رسالة السلطان الموجهة إلى الملك جيمس الثاني في ١٧ شعبان سنة ٧٢٤هـ / ٩ آب ١٣٢٤م شكره لإطلاق سراح المسلمين الستة المأسورين في زمن الصلح بصحبة رسول أرغون ، بينما أشارت الرسالة الموجهة إليه في جمادى الثاني سنة ٧٢٤هـ / أيار ١٣٢٤م عن بعض الشكايات التي إستفسر عنها رسول أرغون الذي وصل إلى غرناطة والمدعو غليم سمنويه Guillem de saynuwiye ومنها طلب إثنين من رعايا أرغون أُسرا في بلش وقد أخبر السلطان ملك أرغون بأنه أرسل أصحابه الثلاثة مع شمون طوبية فتعرضوا في طريق العودة إلى إعتداء من قبل الجواسيس الذين أُلقي القبض عليهم وقتلوا في غرناطة ، ويختم السلطان رسالته بجملة شكايات حملها نيابةً عنه سفيره يحى بن ذنون لغرض حلها عملاً بالمثل ويبدي في آخر الرسالة إرتياحه من السفير الأرغوني غليم على ما ظهر منه ، وإمتعاضه الشديد من موفده المرافق لغليم بيرو روبرت Pero Robert لإرتكابه أموراً منكرة وغير صحيحة(٣٣) .

وبحلول السادس والعشرين من رجب سنة ٧٢٥هـ / يونيو ١٣٢٥م أُعلن عن مقتل السلطان إسماعيل الأول على يد إبن عمه محمد بن إسماعيل ليخلفه ولده السلطان محمد الرابع ٧٢٥-٧٣٣هـ / ١٣٢٤-١٣٣٣م فكان أديباً شجاعاً ذا مروءة فتح حصن قبرة ومنع الإسبان

بسياسة وملاينة من جبل الفتح[٣٤] ، ثم راح يرتب أوضاع بلاده فإنصرف إلى أرغون راغباً في تجديد الصلح مع ملكها جيمس الثاني وبعث له برسالة في ١١ جمادى الآخر سنة ٧٢٦هـ / ١٧ أيار ١٣٢٦م ذكر فيها إستلامه لكتابه من يد رسوله جوان إنريق juan Enric ورفيقه جيمس من قلعة أبوب متضمناً رغبة الملك في تجديد الصلح الذي كان سارياً مع والده مدة خمسة أعوام فأكد موافقته على ذلك ، وقد تضمنت المعاهدة البنود التالية :

- تجديد الصلح الذي كان سارياً بين المملكتين مدة خمسة أعوام أولها نصف شهر أيار سنة ١٣٢٦م / أواسط جمادى الآخر سنة ٧٢٦هـ .
- أن لا يعين أحد على الآخر عدواً في البحر ولا في البر بأي وجه من وجوه الإعانة .
- إذا خرج أحد على طاعة بلده فلا يضم إلى ذلك البلد ولا يقدم له العون في قوت أو أي شيئ آخر .
- أن لا يمنع المسلمون المدجنون بمملكة أرغون من الخروج إلى أرض غرناطة بأموالهم وعيالهم من غير أن يتعسف عليهم في شيئ ولا أن يطلب منهم مغرماً إلا على وفق ما جرت به العادة[٣٥] .

أما نهاية السلطان محمد الرابع فلم تكن أفضل من نهاية أبيه فأُغتيل هو الآخر أيضاً فخلفه أخوه يوسف الأول أبو الحجاج أعظم سلاطين غرناطة ٧٣٣-٧٥٥هـ / ١٣٣٣-١٣٥٤م والذي حدثت في عهده وقعة طريف[٣٦] ، وعلى أثرها عقدت معاهدة مع بيدرو الأول ملك قشتالة ٧٥١-٧٦٩هـ / ١٣٥٠-١٣٦٩م ووضعت قواعد لإفتكاك الأسرى[٣٧] .

ومما يلفت النظر أن العلاقات السياسية لم تقتصر في ضوء المراسلات على ملوك البلاد فحسب بل شملت بعض وزراء غرناطة ممن تميزوا بالدقة في العمل وإحترام الأمانة التي كلفوا بها ، وعدم إستغلال المنصب الوظيفي للأمور الشخصية ، فإستعانت مملكة غرناطة بشخصيات وزارية قوية لها سمات فكرية محددة مقرونة بكفاءة إدارية لاحقة لابد أنها كانت ترمي من ذلك أن تكتسب سياستها إتجاهاً فكرياً قادراً على الإستجابة لمتطلبات الظرف وصولاً لتحقيق أهدافها وسيادتها .

وفي السابع والعشرين من ذي القعدة من سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م أوفد السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سفيره ووزيره أبا الحسن كماشة إلى ألفونس الرابع ملك أرغون ٧٣٦-٧٨٩هـ / ١٣٣٦-١٣٨٧ يطلب تجديد معاهدة الصلح المعقودة بين الطرفين فأجابه في ذلك ونجح الوزير في مهمته[٣٨] .

وفي الخامس عشر من ذي الحجة من العام نفسه أرسل السلطان أبو الحجاج يوسف كبير وزرائه الحاجب أبو النعيم رضوان إلى ملك أرغون ألفونسو الرابع يطلب تسريح الأسرى الموجودين عنده وإعادتهم إلى ذويهم ، وقد إستجاب ملك أرغون لطلب غرناطة وقام بتسريح الأسرى وأرسلهم إلى ذويهم(٣٩) .

وفي الرابع من ذي الحجة من عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م أرسل سلطان غرناطة المذكور كبير وزرائه أبو النعيم رضوان إلى الملك الأرغواني بيدرو الرابع (٧٨٩-٧٩٨هـ /١٣٨٧-١٣٩٥م) سلطان بلنسية وسردينيا وقمط برجلونة فكان إسمه يذكر مع الأقاليم الخاضعة لحكمه(٤٠) ، لتجديد معاهدة السلم والصداقة وتجديد الصلح الذي كان قائماً بين أسلاف سلطان غرناطة وأسلاف ملك أرغون وقد جدد الطلب بين الطرفين وعاد الحاجب رضوان إلى غرناطة(٤١) ، محققاً النتائج التي من أجلها ذهب نظراً لشخصيته القوية المؤثرة فإكتسب رضى الطرفين عنه .

وفي أوخر سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٥م عقد السلطان أبو الحجاج مع بيدرو الرابع ملك أرغون معاهدة صلح ومهادنة جديدة في البر والبحر لمدة عشر سنوات على يد سفيره ووزيره أبا الحسن كماشة والذي قام عن السلطان بهذه المهمة إلى بلاط أرغون حيث تمت الموافقة على الصلح بتأريخ ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م ، وفي ٤ ربيع الأول من سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م أرسل السلطان المذكور وزيره أبا الحسن كماشه إلى ملك أرغون بيدرو الرابع لعقد صلح بين الطرفين وعدم الإغارة على سواحل المسلمين وإلحاق الضرر بها وإنعقد الصلح بين الجانبين وإستقامت الأحوال(٤٢) .

وبعد إغتيال السلطان أبو الحجاج يوسف الأول عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م وهو سابع ملوك بني نصر(٤٣) مرَّت مملكة غرناطة بوضع مضطرب توالى على عرشها أمراء ضعاف لم يكونوا بمستوى المسؤولية فقد خُلع بعضهم أكثر من مرة فقد برز للحكم السلطان محمد الغني بالله ٧٥٥-٧٦٠هـ / ١٣٥٤-١٣٥٩م وقد رافق عهده حوادث وإضطرابات فعُزل في سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م وغادر الأندلس إلى المغرب ثم عاد إلى الأندلس وإستلم ملكه ثانيةً (وكان دخول السلطان دار ملكه وعوده إلى أريكة سلطانه وحلوله بمجلس أبيه وجده ، زوال يوم السبت الموفي عشرين لجماد الثانية من عام ثلاث وستين وسبعمائة)(٤٤) . وفي سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م أرسل السلطان المذكور ، إبن خلدون سفيراً عنه لملك قشتالة بيدرو الأول(٤٥) وإستمر ملكه حتى سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩١م وفي نهاية عهده عقد صلحاً مع قشتالة(٤٦) .

وفي عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الثاني إبن الغني بالله ٧٩٣-٧٩٧هـ / ١٣٩١-١٣٩٤م أرسل وزيره إبن زمرك* على رأس وفد إلى ملك قشتالة هنري الثالث في سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩١م لعقد معاهدة صلح معه ، وفي عهد السلطان يوسف الثالث ٨١٠-٨٢٠هـ / ١٤٠٧-١٤١٧م جدد الهدنة مع مملكة قشتالة لمدة سنتين(٤٧) .

وفضلاً عن مهمة إبن زمرك السياسية كانت مهمة الوزير يوسف بن كماشة* حينما أرسلته السلطانة عائشة الحرة* على رأس وفد عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م إلى ملك قشتالة فرناندو الخامس ليفاوض في الإفراج عن إبنها السلطان (أبو عبد الله محمد)* آخر سلاطين غرناطة أثناء وقوعه أسيراً في معركة عند قلعة اللسانة Lacena جنوب شرق قرطبة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م خلال ولايته الأولى في حكم غرناطة ٨٨٧-٨٨٨هـ / ١٤٨٢-١٤٨٣م حيث إنتهت المفاوضات بين الطرفين بإطلاق سراح السلطان أبو عبد الله محمد سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م بعد شروط إتفق عليها الطرفان(٤٨) ، وتولى أمر غرناطة أبو عبد الله الزغل ٨٩٠-٨٩٢هـ / ١٤٨٥-١٤٨٧م ثم عاد السلطان أبو عبد الله الصغير إلى عرشه مرةً ثانية ٨٩٢-٨٩٧هـ / ١٤٨٧-١٤٩١م وأثناء ذلك عقد الزغل معاهدة مع ملك قشتالة(٤٩) .

وفي عهد السلطان أبو عبد الله الصغير وخلال ولايته الثانية ٨٩٢-٨٩٧هـ / ١٤٨٧-١٤٩٢م كلف وزيره أبو القاسم عبد الملك* بمهمة التفاوض مع ملك قشتالة سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩١م حول تسليم غرناطة (قصر الحمراء) وكان يعاونه في المفاوضة الوزير يوسف بن كماشة فقد كان مثله ومن خاصة السلطان ومن أنصار سياسة التسليم(٥٠) .

وفي العام نفسه ٨٩٧هـ / ١٤٩١م كلف السلطان المذكور وزيره أبو القاسم عبد الملك بعقد إتفاقية بينه وبين ملكي قشتالة فرناندو وإيزابيلا بإعتباره كان (أبو القاسم عبد الملك) مندوب السلطان أبو عبد الله المفوض(٥١) وهذا إن دلَّ على شيئ فإنما يدل على أن الوزير الغرناطي كان ذو مقدرة سياسية عالية في تعامله مع الأمور والمواقف ومستجدات الأحداث .

ولم تقتصر الرسائل على الوزراء فقط بل كان من حصة والي قصبة المرية(٥٢) يوسف بن محمد بن كماشة* رسالة واحدة من بين تلك الرسائل خص بها الدون أرنوطراش Arnau Torres والي أريولة بعثها له في ١٨ جمادى الثانية سنة ٧١٦هـ / ٨ أيلول ١٣١٦م تضمنت الإجابة عن تساؤلات الأخير بشأن الصلح المقرر عقده بين المملكتين

(غرناطة وأرغون) والطلب منه إيقاف عمليات الإغارة مدة عشرين يوماً حتى يتوضح الأمر بشكل نهائي .

وأخيراً فإن المراسلات الغرناطية مع مملكتي أرغون وقشتالة قد أغنت المصادر التأريخية التي تناولت تلك الفترة حيث أنها قدمت معلومات جديدة عن العلاقات بين هذه الممالك وضمّنت تفصيلات عما جرى بينها تختلف عما ألمحت إليه تلك المصادر بصورة عاجلة ومتسرعة بل وأضافت إليها الشيئ الكثير .

نتائج البحث :

١. من خلال إستقراء الوضع العام لمملكة غرناطة نلاحظ خلال هذه الفترة كثرة المعاهدات والإتفاقيات التي أبرمت بين غرناطة المملكة العربية الإسلامية وبين مملكتي أرغون وقشتالة النصرانيتين .
٢. من خلال الرسائل التي صدرت عن بلاط غرناطة إلى بلاط أرغون وقشتالة نلاحظ أن مملكة غرناطة غالباً ما تكون هي صاحبة المبادرة في إبرامها مع الطرف الآخر .
٣. كانت هناك علاقات بين هذه الأطراف الإسلامية – النصرانية ، إتسمت بطابع الصداقة في أغلب أوقاتها بعد أن كانت حالة الحرب هي السائدة .
٤. إتسمت هذه العلاقات أيضاً بطابع السلم وحرص أطرافها على إستمراريتها خدمةً للمصالح السياسية لكلا الطرفين الإسلامي والنصراني .
٥. على الرغم من طابع السلم والصداقة إلا أن هذه العلاقات كان يشوبها أحياناً فتور ناجم عن إضطرابات داخلية أو مشكلات خارجية قد تدفع أحد الأطراف إلى التدخل فتنعكس سلباً على الطرف الآخر .
٦. الرسائل المتبادلة بين هذه الأطراف أكدت على العلاقات الوطيدة الطيبة فضلاً عن إستخدام ألقاب التفخيم وهو سياق تقتضيه بطبيعة الحال العلاقات الدبلوماسية بين هذه الأطراف والتي تحرص على ديمومة مصالحها مع الطرف الآخر لأسباب خاصة بكلا الطرفين .

هوامش البحث :

(١) Las Documentos Arabs Diplomaticas Del Archivo Dela aragon by Ramon Garcia De linars (madrid - 1940) No. 8 , 9 , 10 , 11 .

(٢) إسماعيل بن يوسف بن الأحمر ، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، بيروت ، دار الثقافة للطباعة والنشر – ١٩٦٧ ، ص١٧ .

(٣) Documentos Arabs Diplomaticas No.1 .

(٤) لسان الدين إبن الخطيب السلماني ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة – ١٩٧٨ ، ص٥٠ .

(٥) أبو الحسن علي بن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وأخبار مدينة فارس ، الرباط – ١٩٧٢ ، ص٣٨٠–٣٨١ ؛ يوسف شكري فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر ، بيروت – ١٩٨٢ ، ص٣٦ .

(٦) الأنيس المطرب ص٣٨٠–٣٨١ .

(٧) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت – ١٩٥٩ ، ١٧٣/٤ .

(٨) الأنيس المطرب ص٣٨٣–٣٨٤ .

* قيجاطة Quesada مدينة بالأنداس من عمل جيّان تقع على مقربة من أبدة ، محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، بيروت – ١٩٧٥ ، ص٤٨٨ .

(٩) إبن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح : محمد عبد الله عنان ، القاهرة – ١٩٧٦ ٥٦٩/١ .

(١٠) المصدر نفسه ٥٦٩/١ ، ٥٧٠ .

(١١) عبد الرحمن علي الحجي ، العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية ، الكويت – ١٩٨٠ ، ص٦٥–٦٦ .

(١٢) ماريانو أريباس بالاد ، بنو مرين في الإتفاقيات المبرمة بين أرغون وغرناطة ، مجلة تطوان ، العدد الثامن الرباط سنة ١٩٦٣ ، ص١٩٢ .

(١٣) توفي في ٨ شعبان من عام ٧٠١هـ / ١٣٠١م على مصلات إبن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٥٨ .

* مرسية : تقع مدينة مرسية ضمن مدن كورة تدمير في جنوب شرق إسبانيا وتبعد عن البحر المتوسط نحو ٦٤كم . وهي مدينة قديمة أزلية عجيبة الوضع حسنة المنظر طيبة الهواء والماء والثمر والقمح والشعير كثيرة الخصب أحدقت بها البساتين والأشجار من كل ناحية ولهذا سميت بالبستان . مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق وترجمة : لويس مولينا ، مدريد ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ١٩٨٣ ، ص٧٤ ؛ إبن الكردبوس ، تأريخ الأندلس قطعة من كتاب الإكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق : أحمد مختار العبادي ، مدريد ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية – ١٩٧١ ، ص٩٧ تعليق المحقق ؛ علي بن موسى بن سعيد المغربي وآخرون ، المُغرب في حُلى المغرب ، تحقيق : شوقي

ضيف ، ط٢ ، مصر ، دار المعارف – ١٩٦٤ ، ٢٤٥/٢ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ط١ ، القاهرة – ١٩٥٩ ، ص٥٧٦–٥٧٧ .

(١٤) شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، (بيروت ، لا.ت) ، ص٢٨٧–٢٨٨ .

* يكنى أبا عبد الله نصب ليلة الأحد الثامن من شعبان سنة ٧٠١هـ / ١٣٠٢م فتح مدينة المنظر عنوةً وكان فتحاً عظيماً ثم خلع في عيد الفطر من عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م وتوفي في الثالث من شوال سنة ٧١٣هـ / ١٣١٤م .

إبن الخطيب ، الإحاطة ٥٥٢/١–٥٦٤ ؛ اللمحة البدرية ، ٦٠–٦٩ .

(١٥) إبن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ص١٨ ؛ إبن خلدون ، العبر ، ٢٢٨/٦ ؛ فرحات ، غرناطة ص٣٧ .

(١٦) إبن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ص١٨ ؛ إبن الخطيب ، الإحاطة ٥٦٠/١–٥٦١ ؛ اللمحة البدرية ، ص٦٦–٦٧ .

(١٧) إبن الخطيب ، اللمحة البدرية ، طبعة القاهرة – ١٣٤٧هـ ص٥٧ .

(١٨) المصدر نفسه ، بيروت – ١٩٧٨ ، ص٧٥ ؛ الحجي ، التأريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، دمشق – ١٩٧٦ ص٥٤٨ .

وقد ذكر أن نصر بن محمد قد سعى لعقد معاهدة مع مملكتي قشتالة وأرغون فرفضتا سعيه في ذلك . ضياء باشا ، الأندلس الزاهية ، تعريب عبد الرحمن أرشيدات ، عمان ، نشر وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٩ ، ١٦٥/٣ .

* مالقة : مدينة بالأندلس قديمة أزلية عامرة آهلة كثيرة الديار تقع على شاطئ البحر عليها سور صخر وقصبتها في شرق مدينتها وهي غاية في الحصانة والمنعة وحصونها كثيرة ومنيعة وجامعها في المدينة ولها خمس أبواب وفيها مبان ضخمة وحمامات حسنة وأسواق جامعة كثيرة في الربض والمدينة ، كثيرة التين والزيتون واللوز والعنب والرمان .

– مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق : لويس مولينا ، مدريد – ١٩٨٣ ص٦٨ .

– الحميري ، الروض المعطار ، ص٥١٧ ، ٥١٨ .

(١٩) نثير فرائد الجمان ص١٨–١٩ ؛ اللمحة البدرية ، طبعة بيروت ، ص٧٥–٧٦ ؛ محمد بن عثمان المكناسي ، الأكسير في فكاك الأسير ، تح : محمد الفاسي ، مطبعة الحدال ، الرباط – ١٩٦٥ ، ص١٨٠ .

(٢٠) مارمول كرنجال ، أفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون ، الرباط – ١٩٨٤ ، ٣٩٦/١ .

(٢١) إبن الخطيب ، اللمحة البدرية ، طبعة بيروت ، ص٧٥ ؛ فرحات ، ص٤٠ ؛ شارل أندري جوليان ، تأريخ أفريقيا الشمالية ، تعريب محمد مزالي والبشر بن سلامة تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥ ، ٢٢٧/٢ . ومن المفيد أن نذكر أن حصارهم للجزيرة الخضراء قد فشل بعد تراجع القشتاليين عنها في شعبان ٧٠٩هـ / ١٣١٠م بعد أن عقد صلح بين إبن الأحمر وملك قشتالة .

إبن خلدون ، العبر ، ٢٤٠/٧ ؛ فرحات ، غرناطة ، ص٣٩ .

* تولى منصب شيخ الغزاة في الأندلس منذ يوم إستشهاد أخيه في سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م بعد أن كان مرابطاً في مالقة ، وأبلى في معارك كثيرة بلاءاً حسناً كالمعركة التي خاضها ضد قوات قشتالة سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م المتوجهة نحو مرشانة ثم في معركة إسطبونة التي قتل فيها قائد الجيش القشتالي

بيرش وأعداد كبيرة من قواته ، أما أبرز معركة خاضها فهي في سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م قيادته لجنده وقيامه بإختراقه صفوف قوات قشتالة التي قدرت أعدادها بأكثر من خمسة وثلاثين ألفاً وأعداداً أخرى من المشاة لسقطت غرناطة توفي في سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م وخلفه ولده عامر للمزيد عنه ينظر : إبن خلدون ، العبر ٢٤٩/٧ ، ٣٧١-٣٧٢ ؛ أحمد بن خالد الناصري ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء – ١٩٥٤ ، ١٠٩/٣-١١٠ .

(٢٢) إبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٣٨٧-٣٩٣ .

(٢٣) Documents Arabs Diplomaticas , No. 10 .

(٢٤) Ibid, No. 8 .

(٢٥) Documents Arabs Diplomaticas , No. 8 .

(٢٦) Ibid, No.12 .

(٢٧) جوليان ، تأريخ أفريقيا الشمالية ، ٢٣٠/٢ ؛ ضياء باشا ، الأندلس الزاهية ، ١٦٦/٣ .

(٢٨) Documents Arabs Diplomaticas , No. 12 .

(٢٩) أرسلان ، الحلل السندسية ، ص٢٩٥ .

* الغليوط : يعرف بـــ غيلاطة من مراكب الأسطول المصري عرف وإستخدم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تميز بسرعته نظراً لضيق عرضه وكبر طوله .

ينظر : سعاد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ ، ص٣٦١ .

* القرقورة : سفينة أصل إسمها بالإسبانية كاراكا ذات حجم كبير مخصصة بحمل المؤن للأساطيل البحرية لها ثلاثة أشرعة ولها القدرة على السير في الرياح الشديدة العاصفة .

محمد المنوني ، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، الرباط ١٩٧٩ ، ص٧٨ .

* الشيطي : مركب بثمانين مجذافاً مهمته إستطلاع وإستكشاف الموانئ يتميز بسرعته الفائقة .

المنوني ، ورقات عن الحضارة المغربية ص٧٨ ؛ سعاد ماهر ، البحرية في مصر ، ص٣٥٢ .

(٣٠) Documents Arabs Diplomatics , No. 5

(٣١) Ibid, No.16 .

(٣٢) Ibid, No.11 .

* الأبركة : من السفن الخفيفة التي كانت تستخدم منذ القدم

ماهر ، البحرية في مصر ، ص٣٣٤ .

(٣٣) Documents Arabs Diplomatics , No. 24 .

(٣٤) إبن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص١٩ .

(٣٥) Documents Arabs Diplomatics , No. 26 .

(٣٦) إبن الخطيب ، اللمحة البدرية ، طبعة بيروت ، ص٩٧ ؛ إبن خلدون ، العبر ، ٣٧٥/٤ ؛ المكناسي ، الأكسير ، ص١٧٧ ؛ شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح : إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ٤٥٢/١ ؛ أحلام حسن النقيب ، دور الوزير أبو

النعيم رضوان في سياسة غرناطة الداخلية والخارجية ، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل ، مج١١ ، العدد ٣ ، سنة ٢٠٠٤ ، ص٢ ، ٥ .

(٣٧) المقري ، نفح الطيب ، ٤١٣/٥ .

(٣٨) أحلام حسن النقيب ، وزراء غرناطة ومهامهم في عهودها المتأخرة ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مج١٢ ، العدد٩ لسنة ٢٠٠٥ ، ص٣٤ .

(٣٩) النقيب ، دور الوزير أبو النعيم ص٦-٧ ؛

Documentos Arabs Diplomaticas , No. 32,46 .

(٤٠) إبن الخطيب ، كناسة الدكان بعد إنتقال السكان ، تح : محمد كمال شبانة ، القاهرة – ١٩٦٦ ، ص١٦٢-١٦٦ ؛ Documts Arabs No. 46

(٤١) Documentos Arabs Diplomaticas , No. 41,56,96,66 ؛ إبن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص١٦٢-١٦٦ . وأنظر : عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، نهاية الإندلس وتأريخ العرب المتنصرين ، القاهرة – ١٩٨٨ ، ص١٤٨ ؛ النقيب ، وزراء غرناطة ، ص٢٧ .

(٤٢) المكناسي ، الأكسير في فكاك الاسير ص١٧٧ .

(٤٣) إبن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ص٢٢-٢٣ .

(٤٤) إبن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، طبعة القاهرة – ١٩٥٥ ، ٤٣/١ ، ١٣/٢ .

(٤٥) فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر ص٥٢ .

(٤٦) إبن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص٢٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٢٨/١٠ ؛ فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر ، ص٧٥ .

* إبن زمرك : هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الشريحي المعروف بإبن زمرك وهو تلميذ إبن الخطيب وخلفه في الوزارة وهو آخر علم من أعلام الشعر الأندلسي درس على يد شيخ النحاة بالأندلس أبو عبد الله محمد بن علي بن الفخار الألبيري ، ولإبن زمرك قطع شعرية في وصف الحمراء وقصورها وبساتينها وقد نقشت بعض أبيات شعره على جدران الحمراء وهي جزء لا ينفصل عن زخارف قصور بني نصر ، وقد إشتهر بعنفه وإستبداده فنكبه السلطان الغني بالله ونفاه من الحضرة ولم يمكث في الوزارة في عهد ولاية الغني بالله الثانية سوى أشهر قلائل ، أساء فيها السيرة وكثر خصومه وفي أواخر سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م دهمه جماعة من المتآمرين بمنزله وقتلوه وأهله وكان مولده سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م .

إبن الخطيب ، الإحاطة ٧٩/١ ، ٥٧ ، ٤٧ ؛ نفاضة الجراب في علالة الإغتراب ، دار النشر المغربية ، لا.ت ص٦٦ ؛ انخل جنثالث بالنثيا ، تأريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس ، القاهرة – ١٩٥٥ ، ص١٣٩-١٤١ ؛ النقيب ، (وزراء غرناطة ومهامهم ...) ص٣٤ .

(٤٧) عبد الرحمن الحجي ، التأريخ الأندلسي ص٥٤٩ ؛ فرحات ، غرناطة ص٥٢-٥٣ .

* يوسف بن كماشة : الوزير الماكر وزير السلطان أبو عبد الله محمد ومن خاصته ومن أنصار سياسة التسليم حيث قام بتقديم مفاتيح قصر الحمراء إلى الملك فرناندو الذي سلّمها بدوره إلى قائده لويث دي

مندوسا الذي عينه حاكماً عسكرياً على غرناطة وقد تنصر إبن كماشة وإنتظم في سلك الرهبان ، وباع أملاكه قبل مغادرته غرناطة .

عنان ، نهاية الأندلس وتأريخ العرب المتنصرين ، ص٢٤٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣١٥ ؛ وأنظر ترجمته في بحثنا الموسوم (وزراء غرناطة ...) ، ص٣٥ .

* عائشة الحرة : عرفت بالحرة تمييزاً لها عن الجارية الرومية المعروفة بإسم ثريا ، وهي إبنة السلطان الأيسر عبد الله بن محمد بن يوسف (٨٢٠-٨٣١هـ / ١٤١٧-١٤٢٧م) وزوجة السلطان أبو الحسن علي بن سعد الذي حكم مرتين الأولى (٨٦٨-٨٨٧هـ / ١٤٦٣-١٤٨٢م) والثانية (٨٨٨-٨٩٠هـ / ١٤٨٣-١٤٨٥م) وقد أنجبت له ولدين هما أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف وكان للسلطانة عائشة دور في المفاوضات التي جرت بين قشتالة ومملكة غرناطة أثناء وقوع إبنها السلطان أبي عبد الله محمد في الأسر في إحدى المعارك التي كان يقودها ضد العدو القشتالي وكانت جهودها متميزة في ذلك الوقت فقد نجحت في فك ولدها من الأسر بعد أن توصل الطرفان بعقد إتفاقية بينهما .

مجهول ، نبذة العصر في إنقضاء دولة بني نصر ، تح : محمد رضوان الداية ، دمشق دار حسان للطباعة والنشر – ١٩٨٤ ، ص٣١ ، ٤٧-٤٩ ، ٦١ ؛ فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر ، ص٥٧-٥٨ ؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص١٩٦-٢٠٦ محمد عبدة حتاملة ، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها ، ط١ ، الأردن – ١٩٧٧ ، ص٧ .

* السلطان ابو عبد الله محمد هو آخر سلاطين مملكة غرناطة وهو إبن السلطان أبو الحسن علي بن سعد والسلطانة عائشة ، حكم غرناطة مرتين المرة الأولى (٨٨٧-٨٨٨هـ / ١٤٨٢-١٤٨٣م) والثانية (٨٩٢-٨٩٧هـ / ١٤٨٧-١٤٩٢م) وعلى عهده تم تسليم مفاتيح قصر الحمراء وبذلك ينتهي حكم العرب المسلمين في الأندلس حيث غادرها هو وحاشيته إلى المغرب .

المقري ، نفح الطيب ٥١٥/٤ ؛ فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر ، ص٩٢ .

(٤٨) المرجع نفسه ، ص٦١ .

(٤٩) المقري ، نفح الطيب ٥٢٢/٤ .

* أبو القاسم عبد الملك : هو وزير السلطان أبي عبد الله محمد ومندوبه المفاوض في معسكر الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا ، وقد إضطلع أبو القاسم فضلاً عن المفاوضة في تسليم غرناطة بالمفاوضة في سائر الإتفاقات اللاحقة التي عقدت بين الطرفين ويبدو أن إسمه مذكوراً في معظم الوثائق القشتالية الغرناطية التي أبرمت في هذه الفترة بإعتباره مندوب السلطان المفاوض ، ولم نعثر على تفاصيل تخص شخصية هذا الوزير أو نشأته ولكن الذي يبدو لنا من خلال مواقفه وتصرفاته أنه كان يؤمن إيماناً قوياً بسياسة التسليم والخضوع للنصارى ، وقد ورد إسمه في الوثائق الغرناطية محرّفاً مثل أبو القاسم عبد المليح والأكثر شيوعاً هو أبو القاسم المليخ ، ومن الغريب أن هذا التحريف غلب فيما بعد على كتابة إسمه بالعربية .

عنان ، نهاية الأندلس ، ص٢٤٣-٢٤٤ ، حتاملة ، محنة مسلمي الأندلس ، ص٢٤ ، ٥٥ .

(٥٠) مجهول ، نبذة العصر ، ص٤٨-٤٩ ؛ حتاملة ، محنة مسلمي الأندلس ، ص٥٥ ؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص٢٤١ ، ٢٤٤ .

(٥١) عنان ، نهاية الأندلس ، ص٢٤٣ .

(٥٢) Documentos Arabs Diplomaticas No. 4 .

* لم نعثر له على ترجمة ، ولم يذكره إبن الخطيب إلا في إشارة سريعة وردت عن ولده الذي إستوزره فيما بعد السلطان محمد بن يوسف الغني بالله (٧٥٥-٧٦٠هـ / ١٣٥٤-١٣٥٩م) وقد وجدناه غير راضي عنه وقد حفظت الرسائل الغرناطية الصادرة بين عامي ٧٣٥-٧٣٧هـ نصيباً للولد المذكور بعثه إلى ملك أرغون وبعض ولاته .

Documentos Arabs Diplomaticas p. 71-101 .

Communications , Institutions and Agreement Between Granada I'slamic Kmgdom and Aragon and Kashtalah Christion Kingdoms 695-897 A.H. / 1296-1492 A.D.

Abstract :

The Andolosion political field in the end of the 7 th A.H. / 13 th A.D.century has witnessed clear development in the policy some of the Spanish kingdoms on one hand and Granada kingdom on the other hand , which led to make relationships with them characterized with Friend ship feature . in most time , where it was suffering from war in the past .

The aim of our research is to follow these political relation ships between the Islamic Arabic Granada and its two nerghbors Aragon and kashtalah christion kingdoms. From 695- 897 A.H. / 1296 – 1492 A.D. by letters came from Granada to Aragon and kashtalah regardingt the relation ships between them , as well as in institutions and agreements which have been made between them .

The present research tries also to investigate the reasons behind the continuity of these relation ships or its separation through investigating the conditions which govern the region generally and its effect on these two kingdoms depending on what is written in the contemporary historical resources .

This relation ships were characterized with peace and the care of its sides to keep them on to serve their political interests despite the internal un stabilities or the foreign problems which may be reflected negativelly on the other side .